

ثذرات من اقوال السيد الخميني في اصطفا الزهراء (ع)

اعداد: الاستاذة الدكتورة ناهدة جليل عبد الحسن الغالي/جمهورية العراق/جامعة كربلاء/كلية العلوم الاسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد، وعلى أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب وعلى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وعلى ذريتها الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين من الاولين والآخرين.. لاشك ان الغوص في حقيقة وماهية الزهراء (عليها السلام) صعب مستصعب فهذه الذوات لها بعدا ظاهريا بحسب البشرية ولهم بعدا باطنيا بحسب السر والبعد الالهي الروحي بحيث نستطيع ان نقول انهم لا يعرفهم حق معرفتهم غير الله وغير انفسهم . وقد رسمت الزهراء (عليها السلام) صورة متجلية لأشرف ما في المرأة من إنسانية وصيانة وكرامة وقداسة ورعاية وعناية ، بالإضافة إلى ما كانت عليه

من ذكاء وقّاد وفطنة حادّة وعلم واسع ، وكفاها فخرا أنّها تربّت في مدرسة النبوّة وتخرّجت من معهد الرسالة وتلقّت عن أبيها الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله) ما تلقّاه عن ربّ العالمين ، وممّا لا شك فيه أنّها تعلّمت في دار أبيها ما لم تتعلّمه أي من النساء في مكة^١.

وان الاصطفاء الإلهي بمعناه العام الذي يعني وجود أفراد من البشر يجسدون المبادئ والقيم في حياتهم، ويبلغون مستوى الطهارة والكمال، ويكونون قدوات وهداة، لبني الإنسان على امتداد التاريخ، لم يجعله الله تعالى رتبة خاصة بالرجال دون النساء، بل اصطفى عينات من النساء كما اصطفى من الرجال، مما يدل على قابلية المرأة واهليتها لأعلى درجات الكمال، وأن تكون في موقع الريادة والاقتداء، وفي مستوى التفوق والامتياز على سائر بني البشر نساءً ورجالاً.

ولا يخفى أنّ الإمام الخميني (قده) قد نهض بالإسلام نهضةً فكرية على كافة المستويات ، وأثبت من خلالها قدرة هذا الدين العظيم على اختراق العصور والنفاذ إليها ليأخذ مكانه الريادي في حياة الأمة بشكل عام وفي الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها . وهذا الرجل العرفاني الذي كانت علاقته بأهل بيت النبوة (علمهم السلام) متجلية بقدرة الله عزّ وجلّ ومتمثلة بهم وعلى رأسهم الصديقة الطاهرة صلوات الله عليها، حيث يتفضل قائلاً: «إن ذلك البيت الصغير الذي ضمّ فاطمة عليها السلام وأولئك الخمسة الذين تربوا فيه والذين يمثلون في الواقع التجلي لكامل قدرة الله تعالى قدموا من الخدمات ما أدهشنا وأدهشكم، بل وأدهش البشر جميعاً»^٢. لذلك عبّر الإمام قدس سره في أكثر من موضع أثناء أبحاثه العرفانية والأخلاقية عن العجز وعدم القدرة لدى أي إنسان للإحاطة بحقيقتهم لمعرفة منزلتهم عليه السلام والوقوف على أسرارهم إلا أنفسهم عليهم السلام.

الشذرات المضيئة

ورد ذكر الزهراء(ع) في اقوال الإمام الخميني (قدس سره) وسوف نأخذ شذرات منها فيما يخص موضوع الدراسة:

الاول: ((إنّ جميع الأبعاد الكمالية المتصوّرة للمرأة، والمتصوّرة للإنسان قد تجلّت في فاطمة الزهراء (سلام الله عليها). إنّها لم تكن امرأة عادية، بل كانت امرأة روحانية، امرأة ملكوتية، إنساناً بتمام معنى الإنسان، بكلّ الأبعاد الإنسانية، حقيقة المرأة الكاملة، حقيقة الإنسان الكامل، إنّها ليست امرأة عادية، بل موجود ملكوتي قد ظهر في العالم في صورة إنسان، موجود إلهي جبروتي ظهر بصورة امرأة))^٣.

لاشك ان الحقائق الكمالية للزهراء عليها الذي اصطفاه الله جلا وعلا ؛ لأنها المرأة الفريدة في خصالها وطبائعها و التي تجمع اغلب خواص وصفات الأنبياء والرسول (علمهم السلام) التي وجدت فيها، لأنها تربت في كنف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حيث وصلت إلى أعلى المرتب التي قصرت عنها أيدي الجميع.

ويفسر الامام الخميني (قده) كيف انها قد جمعت كل خصال

١. أهل البيت لتوفيق أبو علم : ١١٦ .

٢. الكلمات القصار، ص٥٥.

٣. مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني (قده)، ص٢٣.

وصفات الأنبياء(ع) قانلا : «إن جميع خصال النبيين والأولياء والصدّيقين (ع) ومقاماتهم التي بلغوها بما اشتملت عليه من مضامين مجتمعة في سيدة نساء العالمين (ع)، بل إن لها من الحالات في مقام القرب من الله تعالى ما لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل حيث قد وصلت إلى ما لم يصلوا إليه وهو الثابت للنبي (ص) والأئمة الأطهار (ع) دون غيرهم كما في روايات المعراج، (لو دنوت أنملة لاحتزقت)٤، وكما ورد عنهم (ع) (إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل)٥. ٦. وان هذه الحالات التي وصفها الامام لم تكن صادرة الا من نبي مقرب او مرسل ويردق قانلا حول منزلتها العظيمة التي اصطفها الباري عز وجل وفضلها على نساء العالمين، لا تحتاج الى منصبها تتولى الجلوس عليه لأنها العالمة الفاضية الحاكمة.

حيث يقول (قده): «فمثل هذه المنزلة.. تصدق طبقاً للروايات على فاطمة الزهراء (عليها السلام) أيضاً، ولا يعني هذا أن تكون خليفة أو حاكماً أو قاضياً، بل هي شيء آخر أبعاد من الخلافة والحكومة والقضاء لذلك، فإن قولنا إن فاطمة لم تتولّ الحكم أو الخلافة أو القضاء لا يعني تجريدها من منزلة القرب تلك أو أنها امرأة عادية أو شخص مثلي ومثلكم»٧. لأن نورها (ع) وجد قبل الخلق: عن النبي الأكرم (ص): «إن الله خلقتني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار»٨. ومن هنا يتبين ان النبي(ص) وأهل بيته (عليهم السلام) لهم وجود نورانيا قدمه الله تعالى على وجودهم الجسماني الكريم، وأن هذا الوجود النوراني كان في عوالم سابقة جداً على هذا العالم، وسابقة على جميع المخلوقات حتى الملائكة والعرش والكرسي والسماء والأرض.

الثاني: ((مسألة معيء جبرئيل إلى شخص ليست مسألة عادية، لا تتصور أن جبرئيل يأتي إلى أي شخص، أو أن من الممكن أن يأتي، إن هذا بحاجة إلى تناسب بين روح ذلك الشخص الذي يأتي جبرئيل إليه وبين مقام جبرئيل الذي هو الزوج الأعظم.... هذا التناسب كان قائماً بين جبرئيل الروح الأعظم، والدرجة الأولى من الأنبياء، كرسول الله وموسى وعيسى وإبراهيم

وأمثالهم))٩. ويفصل القول في مسألة فضائل اهل البيت ع وخاصة الصديقة الطاهرة «وإني أعتبر هذه الفضيلة للزهراء عليها السلام على الرغم من عظمتها كلّ فضائلها الأخرى أعتبرها أعلى فضائلها، حيث لم يتحقّق مثلها لغير الأنبياء، بل لم يتحقّق مثلها لجميع الأنبياء عليهم السلام، وإتّما للطبقة العليا منهم، ولأعظم الأولياء الذين هم في رتبهم، ولم تتحقّق لشخصي آخر. وهذه من الفضائل المختصة بالصدّيقة عليها السلام»١٠.



عصمة الزهراء(ع) ضرورة من ضرورات المذهب

هناك أمران يشدّد الإمام قدس سره على معرفتها والتمسك بهما حول رؤيته لأهل بيت العصمة عليه السلام بحيث ان إنكارهما يؤدي إلى خلل عقيدي والانحراف عن الأصول أو الضروريات التي تؤدي إلى الانحراف في زمرة الضالين عن طريق الهداية والاستقامة والنبات»١١.

الأمر الأول: أنه لا يصل أحد إلى المراتب المعنوية التي وصل إليها أئمتنا الأبرار صلوات الله عليهم، حيث لا يمكن ذلك لأي كان سواء كان نبياً مرسلأ (باستثناء خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم) أو ملكاً مقرباً، ويعتبر قدس سره أن هذا الأمر من ضروريات المذهب.

يقول قدس سره: «وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل،

وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم يعرشه محققين وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبرائيل عليه السلام كما ورد في روايات المعراج: «لو دنوت أنملة لاحتزقت»، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل»١٢.

الأمر الثاني: أن هذه المقامات بأجمعها ثابتة لسيدة نساء العالمين صلوات الله عليها. فمن يعتقد خلاف ذلك يعتبره الإمام قدس سره خارجاً عن مذهب الحق. يقول قدس سره: «كما أن هذه المقامات المعنوية ثابتة للزهراء عليها السلام مع أنها ليست بحاكم ولا خليفة ولا قاض، فهذه المقامات شيء آخر غير وظيفة الحكومة»، ولذا عندما نقول أن الزهراء عليها السلام ليست بقاض ولا خليفة، فهذا لا يعني أنها مثلي ومثلكم، أو أنها لا تمتاز عنا معنوياً»١٣. إن فاطمة (عليها السلام) إنسان بكل ما للكلمة من معنى. لو كانت رجلاً لكانت مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وإضافة إلى ضرورة هذه المكنات لها فهي صلوات الله عليها على وجه خاص كان لها ما لم يكن لغيرها. فيجدر بنا أن نتعرف على قراءة الإمام قدس سره لمقامها المعنوي، نجوم كالفرشاة حول مصباح النور الأبدي الذي لا يطفأ.

المقام المعنوي للزهراء عليها السلام

يقول قدس سره: «إني أعتبر نفسي قاصراً عن التحدث حول الصديقة سلام الله عليها، وأكتفي بذكر رواية واحدة ورد في الكافي الشريف ومنقولة بسند معتبر، وتلك الرواية هي أن الصادق عليه السلام قال: بأن فاطمة عليها السلام عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً في هذه الدنيا واشتد عليها الحزن، وكان جبرائيل الأمين يحضر عندها ويعزّيها ويخبرها بأمر عن المستقبل.. أنا أعتبر هذه الفضيلة فوق جميع الفضائل الأخرى التي ذكرت للزهراء عليها السلام. رغم عظمتها الفضائل الأخرى. وهي لم تحصل لأي إنسان آخر سوى الأنبياء عليهم السلام، وليس كل الأنبياء، بل الطبقة الأولى منهم وبعض

٩. مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني (ره)، ص ٢٤

١٠. حقيقة الإمامة في المدرسة العرفانية، ص ١١٠.

١١. حقيقة الإمامة في المدرسة العرفانية، ص ١٠٥.

١٢. الحكومة الإسلامية (الإمام الخميني قدس سره) ص ٥٢.

١٣. الحكومة الإسلامية، ص ٥٢.

٤. بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٨٢.

٥. الأربعون العلامة المجلسي، ص ١٧٧، شرح الحديث ١٥.

٦. مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني (ره)، ص ٢٢

٧. دروس من فكر الإمام الخميني ص ٥٤ ..

٨. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ٢٧ ص ٨٣



المصدرة المعتمدة

خير ما نبدأ به القرآن الكريم

- ١- أهل البيت (ع): توفيق أبو علم (مكتبة الإرشاد). دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع دار الفكر المعاصر دار الكتب العلمية دار الكتاب العربي شركة الاعلي للمطبوعات.
- ٢- الأربعون حديثاً المؤلف: العلامة محمد باقر المجلسي، مكتبة فدك لأحياء التراث. تحقيق فارس حسون كريم..
- ٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره الجزء الثالث مؤسسة الوفاء بيروت
- ٤- حقيقة الامامة في المدرسة العرفانية بحر المعارف · بيروت : مركز بقية الله الاعظم للدراسات والنشر، ١٩٩٠ .
- ٥- دروس من فكر الإمام الخميني (قُدَسَ سِرُّهُ) المعالم الفكرية لنهج الإمام الخميني (قدس سره)، والمعالم التنظيمية لأهم شرائح المجتمع. مركز المعارف للتأليف والتحقيق من مؤسسات جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، متخصص بالتحقيق العلمي وتأليف المتون التعليمية والثقافية، وفق المنهجية العلمية والرؤية الإسلامية الأصيلة.
- ٦- صحيفة الإمام الخميني المؤلف الخميني، روح الله، ناشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار امام خميني، طهران.
- ٧- الكلمات القصار : مواظ وحكم من كلام الامام الخميني. الكاتب: الخميني، روح الله. مكان النشر: طهران : الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني ..
- ٨- منهجية الثورة الاسلامية مقتطفات من افكار وارااء الامام الخميني · المؤلف : مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني · الناشر : مؤسسة تنظيم تراث الامام
- ٩- مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني(ره) طبعة المجمع العالمي لأهل البيت (ع). هذا الكتاب يشمل خطابات للإمام الخميني (ره) حول السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، و مكانة المرأة في دين الإسلام المبين ، وذلك في بعض مباحثه، وللكتاب ثلاثين باباً.

الأولياء الذين كانوا بمتزلهم، وبهذا التعبير أي المرادة مع جبرائيل خلال خمسة وسبعين يوماً لم تحصل لحد الآن لأي إنسان آخر، وهذه من الفضائل الخاصة بالصديقة الزهراء سلام الله عليها»^{١٤}.

«إن المعنويات والتجليات المملوكة، الإلهية، الجبروتية، الملكية والناسوتية مجتمعة كلها في هذا الموجود (السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام)»^{١٥}.

تحدث الإمام الراحل قدس سره عن شخصية الصديقة الكبرى بأنها: «امرأة تضاهي جميع الرجال، امرأة هي مثال الإنسان.. امرأة جسدت الهوية الإنسانية الكاملة»، وأشار الإمام قدس سره إلى تكوين نطفة السيدة الزهراء عليها السلام من شجرة الجنة طوبى مما يجعلها حواء من عالم المملوك بقوله: «لم تكن الزهراء امرأة عادية، كانت امرأة روحانية، امرأة ملكوتية، كانت إنساناً بتمام الكلمة.. نسخة إنسانية كاملة»^{١٦}.

وفي ختام هذه المقالة التي عرضناها فيها شذرات بسيطة من اقوال الامام الخميني(قده) لدلالاتها على العمق الالهي الاصطفائي لمقام السيدة الجليلة العظيمة فاطمة الزهراء (عليها افضل والسلام) ولا يسعنا الا ان نتوجه بالنداء والاستغاثة بمقام الزهراء (عليها السلام) ب اللهم وبالأسماء الحسنى وبالاسم الأعظم - دلالة على تعظيم المدعو من قبل الداعي. وقد جاء التأكيد من قبل سيده نساء العالمين بأن حصول التوجه الذي يكون سبباً للإجابة مقرون بمعرفتهم، فلا بد من معرفة النخب التي انتخبها الله لعباده معرفة صحيحة ليحصل التوجه الصحيح المؤدي إلى الإجابة. ومن هنا فالزهراء (عليها السلام) هي محور الاصطفاء ومداده، وهذا هو الواقع إذا كان الأئمة من ذريتها ونسلها. السلام عليك يا معدن النبوة ومصنع الإمامة ورحمة الله وبركاته...

والحمد لله رب العالمين

١٤. منهجية الثورة، الإمام الخميني قدس سره ص ١٢٠-١٢١..

١٥. صحيفة الإمام، الإمام الخميني، ج ٧، ص ٢٥٠

١٦. الكلمات القصار، للسيد الخميني ص ٥٥